

أن تستأنف تجارتها مع الشام وهي آمنة ، ولكن هذا كان قبل فتح مكة بعامين ، وكان هناك اليهود أيضا ، وأسرهم غير هين ، وقد قضى عليهم بسد عودته من الحديبية ، ففزام في خيبر ، واستخلصها منهم ، ثم دعا يهود فدك فخصموا بغير قتال ، وتلام يهود وادي القرى بمد قتال يسير . ولكن هذا وسواه لم يكن قد تم لما شرع النبي - أو لما بدا أنه شرع يفكر - فيما وراء جزيرة العرب . وأكبر الظن أن تفكيره في الشمال قديم ، فإسمع قارى السيرة النبوية إلا أن يروعه عن النظرة ، وبمدها ، ورحابة الآفاق التي تمتد إليها

ومن أول مظاهر هذا الاتجاه ، إرساله إلى هرقل ، وكسرى ، والقوقس ، وملك الحيرة ، وملك اليمن ، ونجاشي الحبشة... يدعوهم إلى الإسلام ، وقد كانت هذه دعوة عامة ، وإذا تركنا الحبشة : فإنها فيما وراء البحر ، واليمن : لأنها داخلية في شبه الجزيرة . فإنه يبقى الشمال ، الذي جاءت الحوادث بعد ذلك بما يخصه . وعسى أن يكون من أول دواعي هذا التخصيص أن الحارث النسطاسي ملك الحيرة ، لما تلقى كتاب النبي بالدعوة إلى الإسلام بعث إلى هرقل ملك الروم يستأذنه في أن يقوم على رأس جيش ، لمعاينة صاحب هذه الدعوة الجديدة ، ولكن هرقل صرفه عن ذلك لأسباب لا نتمينا هنا ، فما أريد أن أكتب تاريخاً حديثاً - فقد تكفل بذلك الصديق الزميل - على الرغم من الوزارة

ونظر فإذا هو طامم سائح للسفهاء والأغبياء من أعداء الحق وأنصار البهتان وحدثته النفس بأن طلب السلامة أسرى وجبه للعقل ولكن القوة الخفية سارعت فحدثته بأن الرجل الحق هو الذى يستهين بأراجيف السفهاء

الرجل الحق ؟ ومن الرجل الحق بجانب النبي الحق ؟

الروح الأمين يحدثه بأنه خاتم الأنبياء ، فما الذى يمنع من أن يتحمل في سبيل رسالته أضعاف ما تحمل سائر الأنبياء ؟

ومضى محمد يناضل ويقاوم ويجهاد حتى تقل العرب من الشرك إلى الإيمان بعد أن دفع عن النصر من دمه الغالي ، الدم السفوك بالأكاذيب والأراجيف والأباطيل

ولكن ، لا بأس ، فقد سن "لاتباعه الأوفياء شريفة النضال

زكى مبارك

النبوة الأولى

رسالة ابراهيم عبد القادر المازني



أبجده نظر
النبي صلى الله عليه
وسلم إلى الشام
وما جاورها قبل
أن يستتب له
الأمر في الجزيرة
بزمان طويل ، بل
قبل أن يفرغ
من قريش ، ويفتح
مكة ، وحينئذ أنه
كان قد عقد مع

قريش صلح الحديبية ، فاطمان ، واطمانت قريش بذلك بعض الاطمئنان ، ووسع النبي أن يفرغ لغير قريش ، ووسع قريشاً

هو إذن نبي ، والنبوة توجب التضحية بجميع المنافع ، وتفرض الاستهانة بأكاذيب المفتريين على العيرض والشرف ، فلا بأس من أن يشيع كذباً أنه رجل غير شريف ، وإن كان قومه عدوه من أقطاب الأمتاء ، يوم كان لا يجهر بالاعتراض على ما يرتطمون فيه من الزيف والضلال

لا بد من نضال ، وهو في هذه اللحظة يقع في ميدان واحد هو الصبر على عدوان الكذابين ، فإن انتصر محمد على هذا الكرب فلا كرب عليه بعد اليوم

وصرخ محمد بصوت ارتعدت له الجبال : يا معشر قريش ، أنا رسول الله إليكم !

وما كاد يفوه بهذه الجملة حتى ظهرت لعينه وقلبه ألوف وملايين من الأفاعي والصلال هي وساوس الرمايين في دعوته السامية

والرتبة ، الدكتور هيكل باشا ، جزاء الله عن المسلمين خيراً ...
وإنما كل ما أقصد إليه من ذكر هذه الدعوة التي وجهها النبي
إلى الملوك ، هو الإشارة إلى الاتجاه فيها ...

ومن المحقق أن عين النبي كانت على الشام خاصة ، والشام عامة ،
وهو يعرفها حق معرفتها ؛ فقد سار فيها صدياً ، وشاباً ، ورجلاً
قبل البعث . ولم يكن يخفى عليه أن حياة الجزيرة رهن بتجارها
مع الشام ، ولهذا رأى في الهجرة إلى المدينة وسيلة تعينه على السيطرة
على مكة ، والتحكم في طريق تجارتها ، وكانت قبائل العرب قبل
عمره ، لتفككها ، محتاجة إلى مسانعة الملوك المجاورين ، لتطمئن
على هذه التجارة ، على أن النبي — فضلاً عن ذلك — كان يرى
أن الشام وما جاورها ، هي الطريق الطبيعي لامتداد دولة الإسلام
وانتشار الدعوة إليه ، وتخطيها حدود الجزيرة ، وغير مستغرب
أن يتطلع إلى ما وراء الجزيرة ، من جاء بدين الحق للناس كافة ،
لا للعرب خاصة ...

وقد تأنى ، ولم يعجل بفتح مكة ، لأنه كان واثقاً من الظفر
بها في أوانه المقدور ، ولكنه وجه إلى الشمال ثلاثة آلاف قاتلوا
في مؤتة ، وكانت هذه « حملة تأديبية » صارت مقدمة لنزوة ذات
السلاسل ، ثم لنزوة تبوك ، لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن
الروم يهبطون لنزوة حدود العرب الشمالية . على أن الروم لم يجاروا
بل انسحبوا لما بلغهم أمر الجيش الذي سيره النبي وقوته ، فأثر
النبي ألا يتبهمهم ، واكتفى بالإقامة عند الحدود متحدياً متحزراً
عاملاً على كفاية هذه الحدود وتأمينها ، وقد خضع له غير واحد
من الأمراء هناك وأعطوه الجزية ، وسار خالد بن الوليد بأمره
فاستولى على دومة وبذلك أمن النبي عليه الصلاة والسلام الحدود
الشمالية ، وجعل من البلاد التي تعاهد مع أمرائها ، معاقل
وحصوناً قائمة بينه وبين الروم ، وانتفى كل خوف من العدوان
على الجزيرة وأهلها

ولكن النبي لم يكتب بذلك ، فأكاد يعود من حجة الوداع
حتى أمر بتجهيز جيش عظيم أمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة
ليسير به إلى الشام . فخرج من المدينة ، ولكن الله لم يكتب له
الذهاب إلى الشام فقد مرض النبي ، واشتد عليه الأمر ، فحال
ذلك دون سير الجيش ، وكان أن انتقل رسول الله إلى الرفيق
الأعلى . فانصرف المسلمون إلى شئونهم العاجلة ، مثل دفنه ،

واختيار أمير للمؤمنين ، ثم الردة وما استوجبت من التفريغ لقمعها
ولكنهم بعد أن انتهوا من ذلك ، واطمأنوا إلى استقرار الأمور
في شبه الجزيرة ، شرع أبو بكر رضي الله عنه ، في إضفاء سياسة
الرسول ، فوجه الجيوش إلى الشمال

والمؤرخون الترييون يصفون أبا بكر أحياناً بأنه « محمد
الثاني » ولا يمتنون بذلك أكثر من أنه هو الذي شرع في رفع
بناء الدولة الإسلامية التي وضع الرسول (ص) قواعدها وأرسلها
وقررها ، وأن موقفه من المرتدين هو الذي كفل لدولة الإسلام
أن تبقى قائمة ، وأن يتيسر لها الامتداد ... على أن هذا موضوع
آخر ، لا يرى أن نستطرد إليه فنخرج عما قصدنا إليه ، من بيان
أن للنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي وجه المسلمين إلى فتح
الشام وما جاورها ، ولو امتد به العمر لم ذلك في حياته ، فقد
كان من الجلي أنه بعد أن اطمأن على الجزيرة وبسط عليها سلطان
الدين الذي يمت به ، صار همه هذا الشمال ، ولكن الله اختاره
إلى جواره ، بعد أن أتم رسالته ، وفهم عنه أبو بكر ، فاتجه
بالمسلمين إلى حيث أراد النبي أن يوجههم . ومن الممكن أن يقال
إن أبا بكر أراد بالرحف على الشمال أن يشغل المسلمين بالحرب
والمفتح ، بعد الردة وحروبها ، وهذا صحيح ، ولكن أصح منه
أن هذا هو توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ، كما فهمه أبو بكر
وعمر من بعده . فالنبي لم يجهز بالدين وحده ، بل وضع قواعد الدولة
المدنية أيضاً ، ورسم لها مستقبلها العالني وعين لها اتجاهاتها جميعاً
ابراهيم عبد القادر المازني

الإفصاح في فقه اللغة

معجم عربي : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية .
يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسمفك باللفظ
حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لا يستغنى عنه
مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع
الكبير . طبع دار الكتب .

عنه ٢٥ قرشاً طلب من مجلة الرسالة
ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤثقيه :
صحة يوسف مرسى ، عبد الفتاح الصغير